@ 450 @ الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا ، ماكثين فيه أبدا . وأيضا ، فإنه كلما نزل شيئا فشيئا ، كان أعظم هداية وبشارة لهم ، مما لو أتاهم جملة واحدة ، وتفرق الفكر فيه ، بل ينزل ا حكما وبشارة أكثر ، فإذا فهموه وعقلوه ، وعرفوا المراد منه ، وترووا منه ، أنزل نظيره وهكذا . ولذلك بلغ الصحابة رضي ا عنهم به مبلغا عظيما ، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم ، وانتقلوا إلى أخلاق ، وعوائد ، وأعمال ، فاقوا بها الأولين والآخرين . وكان أعلى وأولى لمن بعدهم ، أن يتربوا بعلومه ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ، ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات ، فبذلك ، تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية . ^ (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وه ذا لسان عربي مبين * إن الذين لا يؤمنون بآيات ا لا يهديهم ا ولهم عذاب أليم * إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات ا وأول ئك هم الكاذبون) ^ يخبر تعالى عن قيل المشركين المكذبين لرسوله ! 2 2 ! هذا الكتاب ، الذي جاء به ! 2 2 ! . وذلك البشر ، الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان ! 2 2 ! القرآن ! 22 ! ، هل هذا القول ممكن ؟ أو له حظ من الاحتمال ؟ ولكن الكاذب يكذب ، ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه ، فيكون في قوله من التناقض والفساد ، ما يوجب رده ، بمجرد تصوره . ! 2! 2 الدالة دلالة صريحة على الحق المبين ، فيردونها ولا يقبلونها . ! 2 2 ! حيث جاءهم الهدى ، فردوه ، فعوقبوا بحرمانه ، وخذلان ا لهم . ! 2 2 ! في الآخرة ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : إنما يصدر افتراء الكذب ، من ! 2 2 ! كالمعاندين لرسوله ، من بعد ما جاءتهم البينات 2 ! . 2 ! أي : الكذب منحصر فيهم ، وعليهم أولى بأن يطلق من غيرهم . وأما محمد صلى ا عليه وسلم المؤمن بآيات ا ، الخاضع لربه ، فمحال أن يكذب على ا ، ويتقول عليه ما لم يقل . فأعداؤه رموه بالكذب ، الذي هو وصفهم فأظهر ا خزيهم ، وبين فضائحهم ، فله تعالى الحمد . ^ (من كفر با من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ول كن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من ا ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن ا لا يهدي القوم الكافرين * أول ئك الذين طبع ا على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأول ئك هم الغافلون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) ^ يخبر تعالى عن شناعة حال ! 2 2 ! فعمي بعد ما أبصر ، ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى ، وشرح صدره بالكفر ، راضيا به ، مطمئنا ، أن لهم الغضب الشديد ، من الرب الرحيم ، الذي إذا غضب ، لم يقم لغضبه شيء ، وغضب عليهم كل شيء . ! 2 2 ! أي : في غاية الشدة ، مع أنه دائم

أبدا . و ! 2 2 ! حيث ارتدوا على أدبارهم ، طمعا في شيء من حطام الدنيا ، ورغبة فيه ، وزهدا في خير الآخرة . فلما اختاروا الكفر على الإيمان ، منعهم ا الهداية ، فلم يهدهم ، لأن الكفر وصفهم . فطبع على قلوبهم ، فلا يدخلها خير ، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ، فلا ينفذ منها ما ينفعهم ، ويصل إلى قلوبهم . فشملتهم الغفلة ، وأحاط بهم الخذلان ، وحرموا رحمة ا ، التي وسعت كل شيء . وذلك أنها أتتهم ، فردوها ، وعرضت عليهم ، فلم يقبلوها . 2 ! 2 ! الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة ، وفاتهم النعيم المقيم ، وحصلوا على العذاب الأليم . وهذا بخلاف من أكره على الكفر ، وأجبر عليه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، راغب فيه فإنه لا حرج عليه ولا إثم ، ويجوز له النطق بكلمة الكفر ، عند الإكراه عليها . ودل ذلك ، على أن كلام المكره على الطلاق ، أو العتاق ، أو البيع ، أو الشراء ، أو سائر العقود ، أنه لا عبرة به ، ولا يترتب عليه حكم شرعي ، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر ، إذا أكره عليها ، فغيرها من باب أولى وأحرى . ! 2 2 ! أي : ثم إن ربك الذي ربى عباده المخلصين بلطفه وإحسانه لغفور رحيم ، لمن هاجر في سبيله ، وخلى دياره وأمواله ، طالبا لمرضاة ا ، وفتن على دينه ، ليرجع إلى الكفر ، فثبت على الإيمان ، وتخلص ما معه من اليقين . ثم جاهد أعداء ا ، ليدخلهم في دين ا ، بلسانه ، ويده ، وصبر على هذه العبادات الشاقة ، على أكثر الناس . فهذه أكبر الأسباب ، التي ينال بها أعظم العطايا ، وأفضل المواهب ، وهي مغفرة ا للذنوب ، صغارها ، وكبارها ، المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه . ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم . فلهم الرحمة من ا في يوم القيامة . ! 2 2 ! كل يقول نفسي ، لا يهمه سوى نفسه . ففي ذلك اليوم ، يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير . ! 2 2 ! من خير وشر ! 2 2 ! فلا يزاد في سيئاتهم ، ولا ينقص من حسناتهم . ^ (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون